منطق اللا منطق.. وثقافة اللا ثقافة

على ضوء شمع ثورة الفوضى اللا شعبية التي أهدت الشعب اليمني في مستهل مشوارها الظلام الدامس وانعدام الوقود والغاز وقطع الطرقات وإغلاق الجامعات وتعطيل المدارس والمستشفيات وبتر الألسن اللهم أجرني وإحراق الأيدي «اللهم لا تجعل الدائرة علي» وترويع الناس «اللهم إني استغيث بك» وطرد الاستثمارات وتعطيل نسبة كبيرة من عقول المثقفين والمتنورين والأدباء بمن فيهم الصديق العزيز(...) الذي كنا لا نعتقد انقلابه بهذه الكيفية خاصة قبل انقلاب المنقلبين الكبار هنا وهنا.

عبدالكريم المدي

أقول على ضوء أربع شمعات هي عمر مسخ خارطة مساحة جامعة صنعاء والأحياء والشوارع المحيط بها ومسحها من على خارطة الدستور والقانون والمنطق وصور «جوجل» الفضائية وذاكرتنا ... خاصة نحن من درسنا في جامعة صنعاء وكنا نحمل في نفوسنا وعقولنا صورة مختلفة لمحيط النصب التذكاري «الإيمان يمان والحكمة يمانية» وللكليات والقاعات ومحلات التصوير وموقف الباصات التي تحولت كلها بفعل تسونامي «الثورة» الفوضى إلى مخيمات لا صلة لها بالعصر ولا تشبه حتى الخيام ولا مضار بها ولا دلالاتها وقيم ساكنيها في عصور وأزمنة كانت فيها البداوة أصل الحضارة والحضارة أصل العمران.. وليس التخريب على ضوء أربع شمعات وأخشى أن تنتهي قبل أن أضع نقطة الختام هنا قررت أن أخاطبكم وأمضي معكم في رحلة بها بعض من جنون ساحة جامعة صنعاء.

وصافر بتعز وزملائي المثقفين من أدباء وكتاب وصحفيين وحقوقيين تركوني ومن معي وذهبوا إلى هناك حيث كوكب المشتري الواسع بالنسبة لهم والضيق بالنسبة للساكنين في أحياء الجامعة والدارسين في كلياتها وأخذوا يهدون من هناك الكثير من النظريات والتهديدات والقوائم السوداء وهلم جرا..!

على أية حال لقد أشكل علي كمتابع وكمثقف افتقدت زملاء أعزاء في الاتحاد أو النقابة تفرغوا لتسجيل تصريحاتنا ومقابلاتنا التلفزيونية وأرشفة مانكتبه هنا أو هناك وجمعه ليوم الحساب الأعظم لا ينفع فيه «محبه ولا صحبه» أو عشرة إلا من أتى «الإخوان» «والرفاق» «والسماحات» مخلصا طائعا مباركا ومبايعا ومنقلبا على نفسه وعلى كل شيء اسمه دستور أو شرعية أو قيم.

أقول أشكل علي استيعاب ثقافة وفلسفة المعارضة اليمنية قد تقولون كيف؟ وأنا سأقول لكم المعارضة اليمنية حيرت الكثير في أنها تريد السلطة وتريد المعارضة وتمارس السلطة وتتشبث بالمعارضة وتدعم التخريب وتنادي بالإصلاح وتقصي الآخر وتدعو للديمقراطية وتقطع الألسن وتجاهر بالحرية وتخطف المخالفين لها وتناشد حقوق الإنسان والأمم المتحدة ومنظمة هود ومنتدى الشقائق ... سرعة التحرك للإفراج عنهم وإدانة خططهم وتقيم المخيمات للنساء في الساحات وتعتدي عليهن بالضرب وتتفاوض مع السلطة وتدعو للمظاهرات والتحريض وتحاول استقطابنا من جهة وسلخنا وإرهابنا من جهة أخرى وتحاول أن تربح المعارضين وتكسب الموالين وتظل في الساحات بالمعارضة وتزحف باتجاه القصر والمرافق الحكومية هذه المعادلة الصعبة والمعقدة ساعدوني في فك شفراتها وعلى مهلكم قرائي الأكارم ولننتقل الآن إلى موضوع آخر.

في الحقيقة هناك تساؤلات عدة في زحمة هذه الطفرة الفوضوية والانتكاسة الحقيقية للديمقراطية والتنوير والحرية وللسلام لعل من أهمها:

ماذا يجري بالفعل في الساحة الوطنية؟ وللإجابة عن هذا السؤال يرى المثقفون الحقيقيون وليس المزيفين أن هناك قوى سياسية ونخب معنية لم تعد قادرة على التعايش أو تحمل رياح ومتغيرات المدنية وكان من الواضح خلال الفترة الماضية أن هؤلاء الساسة والنخب وجدوا صعوبة كبيرة في التعامل مع العصر ومبادئه وديمقراطيته وأسئلته الفكرية.. لذا وبعد أن تجاوز صبرهم الجميل فسحة الصبرا واستحالة لغة الحوار لديهم جمرا أعلنوا وبالصوت العالي أنهم غير قادرين في التكيف مع هذا الزمن الذي ؟ كما قال الباحث والكاتب الأستاذ نجيب غلاب ؟ يخضع فيه المجتمع الإنساني اليوم كله لتبدلات عميقة وسريعة في مفاهيمه وأخلاقياته وعاداته وتقاليده وأسس تفكيره برمته.

على أية حال ومن هذا المنطلق هناك من أعتقد ذلك الكوكتيل « الثوري» وحتى بعض المثقفين فيه أن أفكارهم وإيمانهم بذاتهم وفلسفتهم ومصالحهم فقط.. لابد أن تكون وحدها المنهج والفكر والصيغة السياسية والاجتماعية الأبدية لحياتهم وحياة الآخرين معهم في مجتمعنا.

وأجدني هنا معنياً بنقل مخاوف المثقف اليمني المحايد والمتطلع وربما قد يشاطره أيضاً عدد من المثقفين العرب والإنسانيين.. والذين تتمثل بعض مخاوفهم اليوم من مساع - كما يرون ؟ لإعادة إنتاج الواقع. الذي حاولت الثورة اليمنية سبتمبر وأكتوبر وما بعدهما إعادة تحقيق الوحدة المباركة. تجاوزه والتحرر منه، كونه أي ذلك الواقع، كان متحيزاً للماضي وذلك نتيجة رفض عدد من النخب المهيمنة التي دفعت بكل نقائض التنوير الداخلية والخارجية إلى الواجهة وكأنها قررت بعث الشر والتخلف مرة ثانية في خلايا لتحديث والنهضة وهذا بدوره وبلاشك يبعث المخاوف في أفئدة وفكر المثقفين والمتحررين من مثل هكذا خلافات وذلك من العودة الشرسة لصراعات الماضي بكل صفاته ومكوناته وجنونه، الماضي الإقصائي، الفوضوي، الهمجي بمظاهرهالمتخلفة قبلياً ومذهبياً وجغرافياً وربما تتحدد المخاوف هنا في عودة الماضي الذي إذا ما عاد سيدمر ما قد تشكل وتخلف في واقع اليوم من وعي حديث متمدن من شأنه إذا ما ترك ينمو سيشكل أساساً لنهضة الفكر والحوار والعلم الذي دائماً ما يتكئ على الحرية والعقل رافضاً إسباغ القداسة والتعبية للبشر.. لهذا فالثورات والنهوض لا يمكن لهما أن يكونا ويتحققا كما يتصور البعض من خلال العودة للماضي والشعارات ومفردات العدالة وتطبيق القانون اللذين لا يتحققان من ذاتهما أو وفق رأي أقليه وفي إطارها، وإنما من خلال توافق وحوار وإجماع وتفاهم وانسجام، بمعنى تبقى الحرية والديمقراطية والعدالة متحققة أو مرهونة باحترام الأقلية للأكثرية والعكس والإيمان بالآخر والجلوس على طاولة الحوار واحترام المختلف.

لمبدعة حدّ القيامة !

صدام الزيدي

البديعة حدّ المطر
الأنيقة حد الوصال
الحبيبة حد الزُهد
الجميلة حد اللهفة
الوسيمة حد النقاء
الرشيقة حد الخيل
الصومعة حد الانتماء
القريبة حد الوريد
العشيقة حد الرهبة
العتيقة حد الصوم
المبدعة حد القيامة
الصافية حد العناق
الإنسانة حد اللانهاية
الرائعة حد اللقاء
المعطاءة حد البحر
الودودة حد السخاء
الراهبة حد الصلاة
الكمنجة الشاردة بعينيّ
المسافة الفارعة بيني وبيني
نبضي الذي لا يعرف النوم
فرحي الذي لا ينتهي
وجعي المسافر في مُقلتيها
هي الكلام، المقام، النشيد، الحَتام..

○○○○

حبيبتي التي لا تبخل
مُهرتي الـ أتعشقها بقلبٍ واجدٍ
نهايته في الأزل
المعلمة الملهمة
الباذخة الرؤوم المبدعة
الـ أيقظت العشق في صبحي
ليس ثمة عائلة لي سواها
في الضوء بارقتي
في التحنان ساقيتي
في الطين نافلتي والفريضة
في لهفي تروضني وفي توقي
لا هي «ليلى» أو «ميّاسة»
أو من بنات الخيال / التشيّؤ
إنها العطر يذكي اندغامي بها
الحق، يشهد أني إليها أُوَلِي..
الفردوس لي / للمبشرين بها
هي الدهر زهواً
راهبة المجد والسد والمُلهِمات
ا
ل
ي
م
ن.

نادي القصة (المقه) يحتفي بالقاصتين ابتسام القاسمي وبلقيس الكبسي

■ تواصلاً لفعاليات برنامجه الثقافي للفصل الثاني من العام الحالي ٢٠١١م ينظم نادي القصة (المقه) في الساعة الرابعة من عصر بعد غد الأربعاء فعالية احتفائية خاصة للقاصة الشابة ابتسام القاسمي وذلك بمناسبة حصولها على جائزة الدكتور عبدالعزيز المقالح في دورتها الأولى في مجال القصة هن مجموعتها القصصية «أخيراً تجرأت»، والقاصة بلقيس الكبسي الحاصلة على جائزة رئيس الجمهورية في مرحلتها الأولى على مستوى محافظة صنعاء للعام المنصرم ٢٠١٠م وذلك عن عملها المسرحي «القدوة المفقودة».. وستلقي الكاتبتان في الفعالية نصوصاً مختارة من إنتاج كل منهما من النصوص الحاصلة على الجائزتين..

الخميس المقبل فعالية ثقافية للاحتفاء بأعمال الراحل عبدالرحمن إبراهيم

عدن/سبأ

ينظم منتدى الباهيصمي الثقافي الخميس القادم فعالية ثقافية للاحتفاء بأعمال الراحل عبدالرحمن إبراهيم.

وأوضح رئيس المنتدى محمد باهيصمي أن الفعالية التي يشارك فيها أدباء وكتاب ومثقفون من محافظة عدن تستعرض أعمال الشاعر والناقد الراحل عبدالرحمن إبراهيم الذي يعتبر من الرواد والشعراء اليمنيين الذين أثروا الساحة الأدبية بالكثير من الأعمال إضافة إلى تجربته في مضمار النقد عبر عدد من الدراسات الهامة.

إصدارات ثقافية

ذهنية عصر الأنوار

كان تزفتان تودوروف هو المفوض العام لمعرض «عصر الأنوار» الذي شهدته المكتبة الوطنية الفرنسية قبل عدة أشهر. وهو أستاذ جامعي في السوربون ومدير للأبحاث في المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي. قدّم تودوروف، المؤرخ والباحث، أكثر من أربعين كتابا ،

أصبح عدد منها مراجع أكاديمية مثل «نظرية الأدب»، الكتاب الأول للمؤلف الصادر عام ١٩٦٥ والذي غدا مقررا للتدريس في العديد من الجامعات في العالم. ومن كتبه الشهيرة أيضا «فتح أميركا» و«الفوضى العالمية الجديدة، تأملات مواطن أوروبي» و«نحن والآخرون، النظرة الفرنسية للتنوع الإنساني»، الخ.

يقدم تودوروف كتابه الأخير «ذهنية عصر الأنوار» تحت شعار «إننا بنقدنا لعصر الأنوار نبقى أوفياء لهذا العصر». ولكن رغم تأكيد المؤلف على أهمية «النقد» فإنه يرى في «التوجه الإنساني لعصر الأنوار» القاعدة الفكرية والأخلاقية التي يمكن أن يقيم عليها المجتمع الحديث «حياة مشتركة» بعد نهاية مختلف الإيديولوجيات «الطوباوية».

وإذا كان المؤلف يقبل أن «عصر الأنوار» ينتمي إلى الماضي، ذلك أنه يوجد قرن يدعى «قرن الأنوار»، إلى القرن الثامن عشر. ولكن تلك الأنوار «لم تمض»، وذلك لأنها، كما يشرح، لا تدل على مبدأ يمكنَ تحديد موقعه «تاريخيا»، وإنما هي «موقف حيال العالم». ويشير تودوروف إلى «اختلاف» النظرات على عصر الأنوار، إذ هناك من يجدون فيه «مصدر الشرور القديمة والحالية، والنزعة الاستعمارية ومجازر الإبادة وترسخ النزعة الفردية» بينما يطلب منه آخرون «النجدة ومحاربة آفات الحاضر والمستقبل».

ولا شك أن مؤلف هذا الكتاب هو «أقرب» إلى هؤلاء وهو لا يتردد في التأكيد: «نحن جميعا أبناء عصر الأنوار وحتى عندما نقوم بالهجوم عليها». ويرى تودوروف «أن العقود التي سبقت قيام الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩ هي التي أسست لـ«هوية» فرنسا الحالية. وأبعد منها «الهوية» الأوروبية. ذلك أنه للمرّة الأولى في التاريخ «قرر البشر أن يجعلوا من امتلاك مصيرهم هدفا لما يقومون به من أعمال». يقول المؤلف: «إن مثل هذه الحركة صدرت عن أوروبا كلها وليس عن بلد واحد؛ وقد عبّرت عن نفسها من خلال الفلسفة والسياسة والعلوم والفنون والآداب».

الخط الناظم لـ«النهج» الذي تبنّاه المؤلف في تحليلاته يتمثل في استخراج الخطوط الكبرى لفكر عصر الأنوار، وذلك عبر عملية تنقل «مكوكية» بين الماضي والحاضر، وذلك بهدف واضح هو إلقاء بعض «الأضواء» على السبل التي يرى أنها قد تكون «دفّة الإنقاذ» بالنسبة للمستقبل الإنساني كله والخروج من حالة التخبط والطريق المسدود والفوضى التي تسيطر على العالم كله.

ويؤكد المؤلف في بحثه عن أصول أفكار عصر الأنوار على أنها ليست نتاج صرف للقرن الثامن عشر، فإذا لم تكن قد انبثقت من العصور القديمة فإنها تحمل «بالتأكيد» آثار فترة العصر الوسيط في نهاياتها وعصر النهضة والفترة الكلاسيكية. لكنه يؤكد بالمقابل أن «أفكار عصر التنوير خرجت في القرن الثامن عشر من الكتب كي تعيش في العالم الحقيقي». ويحدد المؤلف ثلاث أفكار رئيسية كانت في أساس «مشروع» عصر الأنوار. وهذه الأفكار هي: «الاستقلال الذاتي - للأفراد . والغاية الإنسانية لأفعال البشر والقيمة الكونية . يونيفرسال».

وفي محاولة لشرح إمكانية أن تساعد أفكار عصر الأنوار في حل المصاعب التي يواجهها العصر الحاضر يؤكد تودوروف أنه «لا يمكن قبول أفكار القرن الثامن عشر كما صيغت آنذاك؛ وليس فقط لكون أن العالم قد تغير وإنما أيضا لأن فكر تلك الفترة هو متعدد الوجوه وليس واحدا». وتتم المطالبة في هذا الإطار بـ«المحافظة علة إرث الماضي وإنما وضعه أيضا على محك النقد». وهنا يشير المؤلف إلى أشكال النقد العديدة التي تعرّض لها فكر التنوير وصولا إلى «رفض مبدئه» نفسه أحيانا.

وأشاع أعداء أفكار التنوير، اعتبارا من ظهورها ووصولا إلى ذروة الاعتراض عليها في نهاية القرن الثامن عشر نفسه، معادلة تقول: «التنوير يعني الثورة، والثورة تعني الرعب». ومن الأفكار التي تتكرر في هذا الكتاب تركيز المؤلف على القول ان «فكر التنوير قاد إلى تشجيع العقل النقدي»، ومن ثم التأكيد أنه ينبغي باستمرار المحافظة على مثل هذا العقل (...). وينبغي صون حرية التعبير بما في ذلك الآراء التي تزعجنا» ولكن شريطة أن لا يصبح النقد لعبة مجانية لا تنتج شيئا سوى تخريب النقطة التي انطلق منها، إذ ان «الإفراط في النقد يقتل النقد».

وبعد فصل يتطرق فيه المؤلف لمبدأ «العلمانية» ويؤكد فيه أن هناك فهما خاطئا للمعنى المتداول عامة، إذ «إن المقدّس ليس غائبا عن الدائرة الشخصية في أي مجتمع يتم وصفه بالدنيوي، وليس غائبا أيضا عن الدائرة الخاصة بالشرعية . القانونية» يبحث في فصل جديد عن مفهوم «الحقيقة» في فكر عصر الأنوار، وهو ينقل في هذا الإطار عن الفيلسوف الإنجليزي «هيوم» قوله عام ١٧٤٢: «وحتى لو اجتمع الجنس البشري كله على القول بصورة نهائية وقاطعة أن الشمس هي التي تدور وأن الأرض ثابتة، فإن هذا لا يلغي واقعا أن الشمس لا تتحرك أو تتزحزح قيد أنملة من مكانها

ومثل تلك التأكيدات هي خاطئة تماما»، أي أن «الحقيقة لا يتم الكشف عنها عبر عمليات الاقتراع»، كما يشير تودوروف.ويؤكد المؤلف أن «الدفاع عن حرية الفرد تستدعي الاعتراف بالاختلاف بين واقعة ما والتفسيرات المقدّمة لها وبين العلم والرأي وبين الحقيقة والإيديولوجيا». ويبني على مثل هذه الثنائية وجود اختلاف كبير بين «الإرادة الطيّبة» في العمل السياسي و«واقع القسر» الذي تمارسه السلطات.

وهنا تكمن «المفارقة» التي يدعو لها فكر عصر الأنوار بالنسبة للحكومات إذ يحدد الحكومة بتلك التي «تساعد رعاياها من أجل بلوغهم درجة متقدمة من الاستقلال الذاتي عبر تسهيل الطريق أمامهم لبلوغ الحقيقة»، وهذا يتضمن بالتالي، «التحرر من سلطة تلك الحكومات نفسها». وهو يقارن في هذا الصدد بين عمل هذه الحكومات «العاقلة» وبين «الأهل» الذين يسعون إلى منح أبنائهم أكبر درجة ممكنة من «الاستقلال الذاتي» مع إدراكهم أن ذلك سوف يجعل دورهم، أي دور الأهل، غير مفيد وسوف «يُبعد» أبناءهم عنهم.

ويتعرض المؤلف في هذا الإطار لما يسميه «النزعة العلمية» التي تزامن ازدهارها مع الحداثة. وقد عرفت هذه النزعة تجسّدها في الفلسفة والسياسة، وتنطلق من القول ان «العالم كله يمكن أن يكون موضوعا للمعرفة وبالتالي يمكن تحويله تبعا للأهداف التي نحددها، وهي أهداف يتم استنتاجها مباشرة من معرفة العالم نفسه».

وهنا يفتح المؤلف قوسين كي يؤكد أن مثل هذه «النزعة العلمية» قد وجدت «معارضين أشدّاء» لها حتى لدى بعض مفكري عصر التنوير الكبار فمونتسكيو مثلا رأى أن «أي طموح للسيطرة على العالم هي نوع من العبث» ولم يتردد جان جاك روسو في القول: «يمكننا أن نكون من بني الإنسان دون أن نكون علماء».

ويركز مؤلف هذا الكتاب على بعدين أساسيين في فكر عصر الأنوار هما «البعد الإنساني» و«البعد الكوني . يونيفرسال»، اللذين يشكلان موضوعي الفصلين الأخيرين. ويؤكد فيهما على القول ان «حرية أفعال البشر محدودة بغايتها الإنسانية بالضرورة ولكن أيضا بإدراك واقع أن جميع البشر ينتمون إلى نفس النوع ولهم بالتالي الحق في التمتع بنفس القدر من الكرامة». وعلى هذا الأساس تصبح «المساواة» إحدى ركائز «حقوق المواطنة» وفي فكر «عصر الأنوار»، كما يرسمه تودوروف ويصف في الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب مدى «الخرق» الذي يصيب مثل هذه المبادئ في عالم اليوم.

والمثال الذي يؤكد عليه هو «التعذيب» الذي لاقاه جميع السجناء العراقيين في سجن «أبو غريب» وغيره من السجون العراقية على يد القوات الأميركية. يقول: «إن الأجهزة السرية الأميركية قد لا تكون هي الوحيدة التي أخضعت سجناءها للتعذيب، لكن الحكومة الأميركية قد تبنّت بالمقابل موقفا استثنائيا عندما حاولت إسباغ الشرعية على مثل ذلك التعذيب».

وهذا كتاب يحاول فيه مؤلفه أن يقدم الخطوط الكبرى لأفكار عصر التنوير الأوروبي خلال القرن الثامن عشر ويقوم بـ«مواجهتها» مع الأحداث المأساوية الكبرى التي شهدها القرنان التاسع عشر والعشرون.

ثم يتساءل عن مدى «صلاحيتها» في مواجهة التحديات التي يعيشها العصر الحالي.

× الكتاب:ذهنية عصر الأنوار
× الناشر:روبير لافون . باريس
× الصفحات :١٣٣ صفحة من القطع المتوسط